بعد أن ركب الجميع السيارات وخالي ووالد العريس ينظمان الأمـور، اسـتأذن خالي بالعودة لإغلاق البيت طالباً منهم الانتظار قليلاً، عاد مسرعاً إلى البيت وقد تنـاول كيساً من المطبخ ووضعه في غرفة الضيوف ثم أغلق الباب الخارجي، وأسقط مـن يـده شيئاً وانحنى ليتناوله مخفياً مفتاح الدار تحت العتبة، ثم انطلق حيث ركب السيارة وانطلق المركب ولا يزال صوت الطبلة وغناء النسوة يصدح حتى غابوا، فانطلقنـا مـع جـدي عائدين إلى البيت. وصلنا قبيل الغروب وقد أنهكنا التعب من هذا اليوم الحافـل باللعـب والأكل والسرور، أغلق محمود الباب بإحكام وغرقنا في نوم عميق.

الليل يسدل على غزة أستاره السوداء ويغرقها في بحر مظلم لا يكاد المرء يـرى منه إصبعه، ودوريات جيش الاحتلال تجوب الشوارع الرئيسية في المدينـة ومكبـرات الصوت تعلن دخول وقت منع التجول، ثم يسود صـوت عميـق لا يقطعـه إلا صـوت سيارات الدوريات بين الحين والآخر بصورة تؤكد وجودها وحفاظها على الأمن. وبهدوء ورباطة جأش تسلل سبعة من الرجال إلى دار خالي بعد أن تناولوا المفتـاح مـن تحـت العتبة، لم يشعلوا الضوء حتى دخلوا جميعاً وأسدلوا الستائر ووضعوا البطانيـات علـى الشبابيك فوق الستائر للتأكد من عدم تسرب أي شعاع من الضوء. بعدها أشعلوا الضـوء فوجدوا الكيس الذي وضعه خالي، فتحه أبو حاتم فوجده مليئاً بأصناف الطعام والحلويات فتمتم:أصيل يا صالح أصيل حتى وهو خارج البيت كريم.

جلس الرجال في حلقة صغيرة متراصة وبدأوا يتهامسون ساعات طويلـة حتـى جوف الليل ثم غرقوا في النوم يتبادلون السهر والحراسة، حتى اقترب الفجر، حيث بدأوا يتسللون من الدار واحداً تلو الآخر، آخرهم كان أبو حاتم الذي أغلق الباب بعد خروجـه ووضع المفتاح مكانه تحت عتبة الدار، وانطلقوا على بركة الله وهم يرددون: ﴿**وجعلنـا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون**﴾[1].

صحوت على صوت جدي وهو يصلي الفجر، وصحا محمود مبكراً ليقوم بـدور الأم وأيقظ أخويّ حسناً ومحمداً وابنَي عمي حسناً وإبراهيم وقدم لهم الإفطـار وانطلقـوا خمستهم إلى مدارسهم، وبقينا أنا وجدي في البيت وحدنا.

---

[1] سورة يس آية (٩)